

فرحان العنزي

سيد الاستغفار

لفضيلة الشيخ الدكتور

عزیز بن فرحان العنزي

-حفظه الله-

سيد الاستغفار

الحمد لله رب العالمين، الحمد لله المحمود في عليائه، الحمد لله المعبود في أرضه وسمائه، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، شهادةً يأمن من قالها وعمل بمقتضاها يوم لقائه، ما أودعها صدرٌ إلا استقر وانشرح، ولا أشربها قلبٌ إلا اطمأن وانفسح، ولا قُذِف بها على باطل إلا زهق وتزحزح، هي كلمة التقوى، وهي العروة الوثقى، وهي التي جعلها إبراهيم كلمةً باقيةً في عقبه لعلهم يرجعون.

وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله الذي انتقاه من أظهر سلالة، واصطفاه للبلاغ والرسالة، وأيده بالحُجج البُلغ، وخصَّه بالنصر المؤزر والفلج، رمى به الأقران فأتاهم دون لبث، وأنزل عليه القرآن فقرأه على الناس على مكث، أذى ما عليه ائتمنه، ولم يحتسب إلا على الله أجره وثمنه.

صَلَّى اللهُ وَسَلَّمْ وبارك عليه وعلى آله الأطهار، وأصحابه الأخيار، وعلى التابعين ومن تبعهم ما تعاقب الليل والنهار، وسلَّم تسليمًا مزيدًا.

أما بعد...

فأوصيكم عباد الله ونفسي بتقوى الله ﷻ في السر والعلن، واعلموا أن التقوى هي وصية الله للأولين والآخرين؛ قال الله ﷻ: ﴿وَلَقَدْ وَصَّيْنَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ أَنْ اتَّقُوا اللَّهَ﴾ [النساء: ١٣١].

وتقوى الله ﷻ يوم نجاتكم يوم يُنصب الصراط، قال الله ﷻ: ﴿وَإِنْ مِنْكُمْ إِلَّا

وَأَرِدُهَا كَانَ عَلَى رَبِّكَ حَتْمًا مَقْضِيًّا ﴿٧١﴾ ثُمَّ نُنَجِّي الَّذِينَ اتَّقَوْا وَنَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثًا ﴿٧٢﴾
[مريم: ٧١-٧٢].

عباد الله: خلق الله ﷻ الإنسان من ضعف، وركب فيه شهوة تميل به إلى الخطيئة، وتجنح به إلى الذنب، قال الله ﷻ: ﴿وَحُلِقَ الْإِنْسَانُ ضَعِيفًا﴾ [النساء: ٢٨]، ولذلك الإنسان بطبعه ميال إلى الشهوات، وميال إلى الخطيئات، حتى يظهر عز الربوبية في ذل العبودية.

ولذلك ربنا ﷻ له الكمال المطلق:

كمال الذات.

وكمال الصفات.

وأما الخلق ففيهم الفقر:

فقر الذات.

وفقر الصفات.

وحتى يكون العباد في حالة لجوء واضطرار إلى الله ﷻ، ولذلك ربنا ﷻ شرع لعباده جملة من الأسباب التي يترقون فيها في مدارج الكمال، ويتقربون إلى الله ﷻ، ومن جملة ذلك: الاستغفار.

نعم عباد الله: إنه الاستغفار الذي جعله الأنبياء لهم شعاراً، واتخذوه دثاراً، ما من نبي من الأنبياء إلا ودعا قومه إلى الاستغفار.

وأكمل الأنبياء استغفاراً هو نبينا محمدٌ ﷺ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ؛ فلقد كان يستغفر الله ﷻ ليلاً ونهاراً، سرّاً وجهاراً، ما كان يفطر لسانه عن الاستغفار،

فلقد قال **عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ**: «إِنَّهُ لَيُغَانُ عَلَى قَلْبِي، وَإِنِّي لَأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ، فِي الْيَوْمِ مِائَةً مَرَّةً» (١).

وصحَّ عن الصحابة **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ** أنهم قالوا: "كنا نعدُّ لرسول الله **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ** في المجلس الواحد مئة مرة أستغفر الله وأتوب إليه" (٢).

فعن ابنِ عمرَ **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا**، قَالَ: إِنْ كُنَّا لَنَعُدُّ لِرَسُولِ اللَّهِ **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ** فِي الْمَجْلِسِ الْوَاحِدِ مِائَةً مَرَّةً: «رَبِّ اغْفِرْ لِي، وَتُبْ عَلَيَّ، إِنَّكَ أَنْتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ» (٣).

نعم عباد الله: إنه الاستغفار، عبادةٌ من العبادات، وقربةٌ من القُرب والطاعات، يتقرب بها العباد إلى رب الأرض والسموات.

الاستغفار عباد الله يمحو الذنوب والآثام، ويكفر الخطايا والسيئات.

الاستغفار يعيش فيه الإنسان في هذه الدنيا، ويمتع المتاع الحسن.

الاستغفار سببٌ من أسباب قوة القلب بحول الله وقوته.

ولذلك الأنبياء عليهم الصلاة والسلام استغفروا ربهم وأنبأوا إليهم؛

فهذا آدم **عَلَيْهِ السَّلَامُ** يستغفر لربه ﷻ ويقول: ﴿رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنْفُسَنَا وَإِنْ لَمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ [الأعراف: ٢٣].

(١) أخرجه مسلم (٢٧٠٢)، من حديث الأغر المزني **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ**.

(٢) ينظر ما بعده.

(٣) أخرجه أبو داود في سننه (١٥١٦)، والترمذي في سننه (٣٤٣٤)، وابن ماجه في سننه

(٣٨١٤)، وأحمد في مسنده (٤٧٢٦)، وغيرهم من حديث ابن عمر **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا**،

وصححه الألباني في السنن.

وهذا موسى **عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ** يقول: ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي فَاغْفِرْ لِي فَغَفَرَ لَهُ﴾ [القصص: ١٦].

وهذا يونس **عَلَيْهِ الصَّلَامُ** يقول ﷺ: ﴿وَذَا النُّونِ إِذ ذَهَبَ مُغْضِبًا فَظَنَّ أَنْ لَنْ نَقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَى فِي الظُّلُمَاتِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ﴾ [الأنبياء: ٨٧] فغفر الله ﷻ ذنبه وخطيئته.

وهذا داود **عَلَيْهِ الصَّلَامُ** قال الله ﷻ: ﴿فَاسْتَغْفَرَ رَبَّهُ، وَخَرَّ رَاكِعًا وَأَنَابَ﴾ [ص: ٢٤].

وبينا **عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ** أكمل الناس استغفارًا **عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ**، ولقد بين الأنبياء عَلَيْهِم الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ قيمة هذا الاستغفار عند الله الواحد الغفار:

قال ﷻ عن بعض الأنبياء يقول لقومه: ﴿وَيَقَوْمِ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا وَيَزِدْكُمْ قُوَّةً إِلَى قُوَّتِكُمْ وَلَا تَتَوَلَّوْا مُجْرِمِينَ﴾ [هود: ٥٢].

وقال ﷻ عن بعض الأنبياء: ﴿وَأَنْ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ يُمْنِعْكُمْ مِّنَّا حَسَنًا إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى وَيُؤْتِ كُلَّ ذِي فَضْلٍ فَضْلَهُ﴾ [هود: ٣].

والله ﷻ يعرض التوبة والاستغفار على عباده، فيقول ﷻ وتقدس: ﴿أَفَلَا يَتُوبُونَ إِلَى اللَّهِ وَيَسْتَغْفِرُونَهُ، وَاللَّهُ عَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [المائدة: ٧٤].

عباد الله: وقد جعل الله ﷻ الاستغفار سيدًا ورئيسًا ورأسًا، ألا وهو سيد الاستغفار الوارد في الحديث الصحيح.

فقد صحَّ عن النبي **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ** أنه قال: «سَيِّدُ الاسْتِغْفَارِ أَنْ يَقُولَ الْعَبْدُ: اللَّهُمَّ أَنْتَ رَبِّي، لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ خَلَقْتَنِي وَأَنَا عَبْدُكَ، وَأَنَا عَلَىٰ عَهْدِكَ وَوَعْدِكَ مَا اسْتَطَعْتُ، أَبُوؤ لَكَ بِذَنْبِي فَاغْفِرْ لِي، فَإِنَّهُ لَا يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا

أَنْتَ» (١).

عباد الله: هذا الدعاء يُسمى بسيد الاستغفار، اشتمل على معاني العبودية والتقديس لله ﷻ والتعظيم له.

اشتمل على بيان ذل العبودية، والانطراح على عتبات المولى ﷻ، والتعرض لنفحاته ﷻ.

أتدرون ما جزاء من قال هذا في ليله وفي نهاره؟

اسمعوا إلى قول النبي **عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ** لمن قال هذا الدعاء موقناً من قلبه، من قاله في نهاره، من قاله في أول يومه موقناً من ذلك، موقناً بذلك فمات من يومه دخل الجنة، ومن قاله في ليلته موقناً بذلك فمات دخل الجنة.

اللهم أكبر! يا له من دعاءٍ عظيم، ويا له من دعاءٍ يسير، يسره الله ﷻ على لسان العباد؛ «اللَّهُمَّ أَنْتَ رَبِّي، لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ».

هذا اعتراف وإقرار بأن الله ﷻ هو الرب الخالق، الرزاق المالك، الذي بيده الأمر. «لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ» يعني لا معبود حق إلا الله ﷻ وتقدّس، لا إله إلا الله تتساقط جميع المعبودات، ويبقى الله ﷻ المعبود الحق لا إله غيره ﷻ.

ولذلك كل ما سوى الله مخلوق، والله ﷻ هو الخلاق العليم، ولا يجوز أن تُصرف العبادة إلا لله وحده لا شريك له، اللهم أنت ربي خالقي ورازقي، ومدبري، ومالكي ﷻ وعز، «لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ»؛ يعني معبودي، فأنت المعبود الحق وحدك لا شريك لك.

«اللَّهُمَّ أَنْتَ رَبِّي، لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ خَلَقْتَنِي وَأَنَا عَبْدُكَ، وَأَنَا عَلَى عَهْدِكَ

(١) أخرجه البخاري (٦٣٠٦)، من حديث شداد بن أوس **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ**.

ووعِدِكَ مَا اسْتَطَعْتُ» نعم تعترف بأنك على العهد الأول حينما أخذ الله ﷻ العهد على ذرية آدم وهم في صلب أبيهم آدم، يقول ﷻ: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَىٰ شَهِدْنَا أَن تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ﴾ [الأعراف: ١٧٢].

«وَأَنَا عَلَىٰ عَهْدِكَ وَوَعْدِكَ مَا اسْتَطَعْتُ» الله أكبر! يا له من تيسير، «ما اسْتَطَعْتُ»؛ لأن أوامر الله ﷻ على الاستطاعة، ولذلك ربنا ﷻ حينما خلق خلقه من ضعف، وعلم أنهم سائرون في ضعف، عفا عنهم، ويسر عليهم ما لا يستطيعون.

ولذلك يقول ﷻ: ﴿فَأَنقَضُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ﴾ [التغابن: ١٦].

ويقول ﷻ: ﴿لَا يَكْفُرُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا مَاءً آتَاهَا﴾ [الطلاق: ٧].

ويقول ﷻ: ﴿لَا يَكْفُرُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾ [البقرة: ٢٨٦].

«وَأَنَا عَلَىٰ عَهْدِكَ وَوَعْدِكَ مَا اسْتَطَعْتُ».

نعم عباد الله هكذا تكون العبودية لله رب العالمين؛ الاعتراف له، والإقرار له ﷻ، ثم الاعتراف بأن كل نعمة أنعمها علينا هي منه ﷻ وتقدس.

فاستشعروا يا عباد الله هذه المعاني، وغوصوا فيها حينما تقولون دعاء الاستغفار.

«أَبُوءُ لَكَ بِنِعْمَتِكَ عَلَيَّ» أبوء: يعني أعترف، تعترف بأن جميع النعم إنما هي من الله ﷻ، والإنسان في هذه الدنيا:

ما بين نعمةٍ يحتاج فيها إلى شكرٍ لله ﷻ.

وما بين معصيةٍ يحتاج فيها إلى الاستغفار لله ﷻ.

وهذه النعم عباد الله، هذه النعم كلها من الله ﷻ، ولولا الله ما تنعمتم، ولا تقلبتُم في هذه النعم؛

يقول ﷻ: ﴿وَمَا يَكُم مِّن نِّعْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ﴾ [النحل: ٥٣].

ويقول ﷻ: ﴿وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعْمَهُ ظَهْرًا وَبَاطِنًا﴾ [لقمان: ٢٠].

ويقول ﷻ: ﴿وَإِن تَعُدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لَا تَحْصُوهَا﴾ [إبراهيم: ٣٤].

وشكر الله على نعمه أيها المؤمنون لا تقف عند تحريك اللسان فقط كما يعتقد كثيرٌ من الناس، بل شكر النعمة يقوم على ثلاثة أركان:

١- يقوم بلهج اللسان. ٢- ويأقرار الجنان. ٣- ويعمل الجوارح والأركان.
أَفَادَتُكُمُ النَّعْمَاءُ مَنِّي ثَلَاثَةً يَدِي وَلِسَانِي وَالضَّمِيرَ الْمُحَجَّبَا^(١)

تلهج بلسانك بكثرة حمد الله ﷻ، وترطب لسانك بشكر الله ﷻ، مع إقرار القلب واعترافه أن هذه النعم من الله، لا بذكائك، ولا بفطنتك، ولا بلوذعيتك، ولا بشطارتك.

والله لولا الله ما اهتديت، ولولا الله ما اغتيت، ولولا الله ما اصابتك الصحة والعافية.

نعم عباد الله: كم من إنسانٍ سلب كثيراً من التذكير فقاده ذلك إلى الهلاك، أو إلى الضعف، أو إلى الفقر، أو إلى غير ذلك، فاشكر الله ظاهراً وباطناً، أولاً وآخرًا، سرًّا وجهارًا.

واعلم بأن ربك ﷻ وعدك وتوعدك في آية، قال ﷻ: ﴿وَإِذْ تَأَذَّتْ رِيبِكُمْ لِيَنَّ شِكْرَتُمْ لِأَزِيدَنَّكُمْ وَلِيَنَّ كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ﴾ [إبراهيم: ٧].

(١) غريب الحديث للخطابي (١ / ٣٤٦).

كذلك الاعتراف بالذنب؛ «وَأَبُوهُ بِذَنْبِي» تعترف بأن الذنوب منك أنت، أنت الذي أقدمت على الذنب، وأنت الذي تقحمت جرائمه، وأنت الذي وقعت في مستنقعها، ولذلك تعترف إلى الله ﷻ، وليس بينك وبين الله حجاب ولا واسطة.

ولذلك ربنا ﷻ سهّل قضية الاعتراف بالذنب، فلا تذهب عند عالم، ولا طالب علم، ولا إمام مسجد، ولا إلى صغير، ولا إلى كبير، ليس بينك وبين الله ﷻ حجاب، بمجرد أن ترفع يديك لله ﷻ، ترفعهما بقلبٍ نقي، وبصدرٍ طاهر، وبندمٍ وأسف، يغفر الله ﷻ لك ذنبك؛ فالله ﷻ يقول: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ﴾ [البقرة: ١٨٦].

نعم عباد الله: هكذا كان الأنبياء عليهم الصلاة والسلام يعترفون بذنوبهم بين يدي مولاهم ﷻ وتقدس، وليس ثم واسطة، وإنما الله ﷻ علام الغيوب، وأدرى بما في القلوب.

ولذلك يقول النبي ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ يَبْسُطُ يَدَهُ بِاللَّيْلِ لِيُتُوبَ مَسِيءُ النَّهَارِ، وَيَبْسُطُ يَدَهُ بِالنَّهَارِ لِيُتُوبَ مَسِيءُ اللَّيْلِ حَتَّى تَطْلُعَ الشَّمْسُ مِنْ مَغْرِبِهَا» (١).

الاعتراف بالذنب توبةً بإذن الله ﷻ، والندم توبة، وبذل الوسائل والأسباب التي تقطع عنك الذنب والخطيئة، نعم هي من شروط التوبة، ولذلك يقول العلماء: التوبة لها شروط:

أولاً: الإقلاع عن الذنب. **وثانياً:** الندم على فعله.

(١) أخرجه مسلم (٢٧٥٩)، من حديث أبي موسى الأشعري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

فمن بقي متلذذاً، ومن بقي متذكراً، راغباً في العودة إلى الذنب والخطيئة فلم يتب إلى الله ﷻ، الندم أنك تعلم يقيناً أن الله ما نهى عنه إلا لمفسدةٍ محضة أو راجحة، وأن الله ﷻ حينما نهاك عن هذا الذنب وتيك الخطيئة إنما أراد الصلاح لك دنيا وآخرة.

الإقلاع عن الذنب، والندم على فعله، والعزم الأكيد على عدم العود إليه؛ أما أن تكون ممن يحوم حول الحمى، وممن يدور حول المعصية فلم تتب إلى الله رب العالمين توبةً حقيقيةً صادقةً، وإنما هي توبةٌ مغشوشة، توبةٌ كاذبة.

ولذلك من أراد التوبة تجافى عن أسبابها، وتباعد عن مناخاتها:

تَرْجُو النِّجَاةَ وَلَمْ تَسْلُكْ مَسَالِكَهَا إِنَّ السَّفِينَةَ لَا تَجْرِي عَلَى الْبَيْسِ (١)

وإذا كان الذنب والخطيئة بينك وبين أحدٍ من خلق الله، فمن صححة التوبة أن ترد الحقوق إلى أصحابها، سواءً كانت أدبيةً معنويةً، أو كانت ماديةً حسية، لا بد من التحلل من أصحابها قبل ألا يكون دينارٌ ولا درهمٌ، وإنما حسناتٌ وسيئات.

عباد الله: هذا الدعاء العظيم حينما يقوله الإنسان في صباحه فيموت من ليلته أدخله الله الجنة، وحينما يقوله من ليله فيموت من صباحه أدخله الله الجنة، ولذلك استحق هذا الدعاء أن يكون سيداً، وأن يكون رئيساً، وأن يكون أفضل صيغ الاستغفار التي يستغفر بها العباد إلى الله الغفار.

أقول ما تسمعون وأستغفر الله لي ولكم ولسائر المسلمين من كل ذنبٍ وخطيئة، ويا فوز المستغفرين أستغفر الله.

(١) الكشاف للزمخشري (١ / ٤١٧).

الخطبة الثانية

الحمد لله على إحسانه، والشكر له على توفيقه وامتنانه، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، صلّى الله وسلّم وبارك عليه وعلى آله وأصحابه وإخوانه، وسلّم تسليمًا مزيدًا.

أما بعد...

فيا عباد الله: تأملوا في آخر هذا الدعاء العظيم «وَأَبُوءُ بِذَنْبِي فَاغْفِرْ لِي، فَإِنَّهُ لَا يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا أَنْتَ» مَنْ الذي يغفر الذنوب؟ إنه الله وحده لا شريك له، هو غفّار الذنوب ﷻ وتقدّس؛ ﴿وَمَنْ يَغْفِرِ الذُّنُوبَ إِلَّا اللَّهُ﴾ (١٣٥) [آل عمران: ١٣٥].

ولذلك لا أحد أبدًا يغفر ذنبك، ويمحو خطيئتك، ويدمغ معصيتك، إنما الذي بيده الأمر هو الله ﷻ وتقدّس، وهذا الربّ الجليل العظيم القدير ﷻ على رغم معصية العباد، وعلى كثيرة ذنوبهم وآثامهم يتحبب إليهم، ويتودد إليهم بالتوبة، فيقول ﷻ: ﴿أَفَلَا يَتُوبُونَ إِلَى اللَّهِ وَيَسْتَغْفِرُونَ لَهُ وَاللَّهُ عَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [المائدة: ٧٤].

بل ربنا ﷻ يُنادي هؤلاء العصاة، العتاة، المجرمين، الذين أوغلوا في الذنوب، وانغمسوا في الآثام، وأسرفوا على أنفسهم إسرافًا كبيرًا وعظيمًا، يُناديهم فيقول ﷻ: ﴿قُلْ يَاعِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾ (٥٣) [الزمر: ٥٣].

وكذلك جاء في الحديث القدسي: «يَا ابْنَ آدَمَ لَوْ بَلَغَتْ ذُنُوبُكَ عَنَانَ

السَّمَاءِ ثُمَّ اسْتَغْفَرْتَنِي غَفَرْتُ لَكَ عَلَى مَا كَانَ مِنْكَ وَلَا أَبَالِي» (١).

يا لله! ما أعظم الله! ما أعظم الله! العباد يعصونه، ويشركون به، ويذنبون، ويخطئون، ومع ذلك يتحبب إليهم بالتوبة والاستغفار، ويدعوهم ويناديهم ليل نهار، الله أكبر! يا له من رب رحيم، أرحم بنا من أمهاتنا، وآبائنا، وأحب الناس إلينا.

ألا فلتتوبوا يا عباد الله، فلتتوبوا إلى الله ﷻ، فمهما بلغت ذنوبك يا عبید الله، ومهما بلغت ذنوبك يا أمة الله فإن الله يغفرها، ولا يجوز لأحد أن يَرحم الله في حكمه، فإن الله ﷻ غَفَّارٌ للذنوب ﷻ، ما عدا ذنبًا واحدًا لا يغفره، أتدرون ما هو؟ إنه الشرك بالله رب العالمين.

ذلك أن الشرك من أعظم الذنوب، وأقبح الآثام، ذلك أن الشرك بالله ظلمٌ عظيم:

يقول ﷻ: ﴿إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾ [لقمان: ١٣].

يقول ﷻ: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا﴾ [الزمر: ٥٣]، ولما جاء ذكر الشرك بالله ﷻ: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا﴾ [النساء: ١١٦]، والآية الأخرى: ﴿فَقَدْ أَفْتَرَىٰ إِثْمًا عَظِيمًا﴾ [النساء: ٤٨].

فليس هناك أقبح ولا أشنع من أن تتخذ مع الله نداءً وهو خالقك، ومن أن تصرف العبادة لغير الله وهو الذي خلقك وأوجدك وصنعك، وهو مالكٌ أمرك، ومدبرٌ شأنك.

(١) أخرجه الترمذي في سننه (٣٥٤٠)، من حديث أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وصححه الألباني في سنن الترمذي.

نعم عباد الله: إنه الشرك الذي لا يغفره الله رب العالمين، فتوبوا إلى الله يا عباد الله، واستغفروه، وتأملوا في كتاب الله ﷻ، لا سيما ما ذكره الله ﷻ على لسان الأنبياء من دعوتهم إلى الاستغفار.

تأملوا ما ذكره الله على لسان العبد الصالح نوح وهو يقول لقومه: ﴿فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا ﴿١٠﴾ يُرْسِلُ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا ﴿١١﴾ وَيُمْدِدْكُمْ بِأَمْوَالٍ وَيَنْبِئْ وَيَجْعَلْ لَكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَلْ لَكُمْ أَنْهَارًا ﴿١٢﴾ مَا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا ﴿١٣﴾﴾ [نوح: ١٠-١٣].

توبوا إلى الله واستغفروه، وتأملوا في هذا الدعاء يا أيها المسلمون، وقولوه في أذكار صباحكم، وفي أذكار مساءكم، تكونوا في المهتدين الراشدين بحول الله رب العالمين.

صلوا على خير من صلّى وصام، واستغفر ربه وحجّ وجاهد وقام، نبيكم عليه أفضل الصلاة والسلام، إذ أمركم الله ﷻ بالصلاة والسلام عليه بعدما صلّى عليه وثنى بملائكة قدسه، أيه بكم أيها المؤمنون أمراً فقال: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ [الأحزاب: ٥٦].

فرحان